من كنوز القرآن الكريم

قصة يوسف عليه السلام
وقفات • فوائد • لطائف

الجزء الثاني

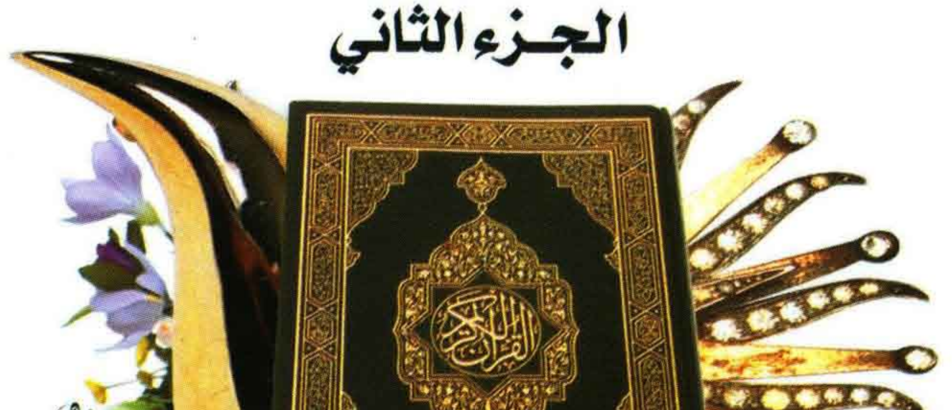

د. زيد بن محمد الرماني

الطبعة الأولى

دار طويق للنشر والتوزيع

من كنوز القرآن الكريم (٢)

قصة يوسف عليه السلام

وقفات - فوائد - لطائف

إعداد :

د. زيد بن محمد الرماني

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية

دار طويق

ح دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرماني، زيد بن محمد
من كنوز القرآن/ زيد بن محمد الرماني - الرياض، ١٤٢٤هـ
٥ مج
ردمك: ٨-١٨٤-٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٤-١٨٦-٤٢-٩٩٦٠ (ج٢)
١- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان
ديوي ٢٢٩ ١٤٢٤/٤٥٩٥

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٤٥٩٥
ردمك: ٨-١٨٤-٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٤-١٨٦-٤٢-٩٩٦٠ (ج٢)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

دار طويق للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥
ت/ ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨ ف/ ٢٧٨٥٦٢٨

بريد إلكتروني E-mail: dartwaiq@zajil.net
موقعنا على الإنترنت www.dartwaiq.com.

مكتب القاهرة
هاتف/ ٤٥٩٤٦٧٩ محمول: ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦
مساكن كورنيش النيل مدخل (٥) شقة (١) روض الفرج

مكتب الخرطوم
الخرطوم - السوق العربي - هاتف/ ٧٩٠١٣٤

تم الصف الإلكتروني والإخراج والتصحيح بدار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، ، ،

فهذه وقفات وفوائد ولطائف مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

فإن الله تعالى قصها علينا مبسوطة ، وقال في آخرها : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف ١١١) .

والعبرة تعني معاني وأحكام نافعة وتوجيهات إلى الخيرات ، وتحذير من الهلكات ، وقصص الأنبياء كلها كذلك .

لكن هذه القصة خصها الله تعالى بقوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (يوسف ٧) .

ففيها آيات وعبر منوعة لكل من يسأل ويريد الهدى والرشاد ، لما فيها من التنقلات من حال إلى حال ، ومن محنة إلى محنة ، ومن محنة إلى منحة ، ومن ذلة إلى عز ، ومن فرقة إلى اجتماع ، ومن حزن إلى سرور ، ومن رخاء إلى جدب ، ومن ضيق إلى سعة .

وغير ذلك مما اشتملت عليه هذه القصة العظيمة .

إنها أحسن القصص .

فتبارك من قصها ووضحها وبينها .

والله الموفق ...

المؤلف / د. زيد بن محمد الرماني
ص.ب : ٣٣٦٦٢
الرياض ١١٤٥٨
السعودية

الوقفة الأولى :

مقدمات أساسية

سورة يوسف

- سورة مكية بالاتفاق .
- عدد آياتها ١١١ آية بلا خلاف .
- كلماتها ١٧٧٦ كلمة .
- حروفها ٧١٦٦ حرفاً .
- وما فيها آية مختلف فيها .
- ليس لها اسم سوى سورة يوسف لاشتمالها على قصته .
- هذه السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ .
- فضل السورة :

لم يرد فيه سوى أحاديث واهية ، منها حديث أُبيّ :(علموا أرقاءكم سورة يوسف ، فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه ، هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة ألا يحسد مسلماً ، وكان له بكل رقيق في الدنيا مائة ألف ألف حسنة ومثلها درجة ، ويكون في جوار يوسف في الجنة) .

وقد اتفق المحدثون على أن هذا الحديث موضوع .

- مجموع فواصل آياتها يجمعها قولك (لم نر) .

مقصود سورة يوسف

عرض العجائب التي تضمنتها : من حديث يوسف ويعقوب عليهما السلام والوقائع التي في هذه القصة ، من تعبير الرؤيا وحسد الإخوة ، وحيلهم في التفريق بينه وبين أبيه ، وتفصيل الصبر الجميل من جهة يعقوب ، وبشارة مالك بن ذعر بوجدان يوسف ، وبيع الإخوة أخاهم بثمن بخس ، وعرضه على البيع والشراء بسوق مصر ، ورغبة زليخا وعزيز مصر في شراه ، ونظر زليخا إلى يوسف ، واحتراز يوسف منها ، وحديث رؤية البرهان وشهادة الشاهد ، وتعيير النسوة لزليخا ، وتحيرهن في حسن يوسف ، وجماله ، وحبسه في السجن ، ودخول الساقي والطباخ إليه وسؤالهما إياه ، ودعوته إياهما إلى التوحيد ، ونجاة الساقي ، وهلاك الطباخ ، ووصية يوسف للساقي بأن يذكره عند ربه ، وحديث رؤيا مالك بن الريان ، وعجز العابرين عن عبارته ، وتذكر الساقي يوسف وتعبيره لرؤياه في السجن ، وطلب مالك يوسف ، وإخراجه من السجن ، وتسليم مقاليد الخزائن إليه ، ومَقْدم إخوته لطلب الميرة ، وعهد يعقوب مع أولاده ووصيتهم في كيفية الدخول إلى مصر ، وقاعدة تعريف يوسف نفسه لبنيامين ،وقضائه حاجة الإخوة ، وتغييبه

الصاع في أحمالهم ، وتوقيف بنيامين بِعلّة السرقة ، واستدعائهم منه توقيف غيره من الإخوة مكانه ، ورده الإخوة إلى أبيهم ، وشكوى يعقوب من جَوْر الهجران ، وألم الفراق ، وإرسال يعقوب إياهم في طلب يوسف ، وأخيه ، وتضرع الإخوة بين يدي يوسف ، وإظهار يوسف لهم ما فعلوه معه من الإساءة ، وعفوه عنهم ، وإرساله بقميصه صحبتهم إلى يعقوب ، وتوجه يعقوب من كنعان إلى مصر ، وحوالة يوسف ذنب إخوته على مكايد الشيطان ، وشكره لله تعالى على ما خوله من المُلك ، ودعائه وسؤاله حسن الخاتمة وجميل العاقبة وطلب السعادة والشهادة ، وتعيير الكفار على الإعراض من الحجة والإشارة إلى أن قصة يوسف عبرة للعالمين في قوله تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف ١١١) .

سبب نزول سورة يوسف

في سبب نزولها أقوال :

● روى سعد بن أبي وقاص ﷺ حديثاً قال فيه :

أُنزل القرآن على رسول الله ﷺ ، فتلاه عليهم زماناً ، فقالوا : يا رسول الله : لو قصصت علينا ؟ .

فأنزل الله تعالى: ﴿ الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ ، إلى قوله تعالى ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ .

قال الحاكم في مستدركه : صحيح الإسناد .

● روى ابن عباس ﷺ حديثاً قال فيه :

سألت اليهود النبي ﷺ فقالوا :

حدثنا عن أمر يعقوب ، وولده ، وشأن يوسف .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ وذلك أن التوارة بالعبرانية ، والإنجيل بالسريانية ، وأنتم قوم عرب ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه .

● قال ابن الأنباري :

لما لحق أصحاب رسول الله ﷺ مللٌ ومسأمة ، قالوا له :

حدثنا بما يزيل عنا هذا الملل .

فقال : تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها وانصراف الملل هي آيات الكتاب المبين .

لماذا سميت سورة يوسف أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص

اختلف العلماء في ذلك :

١ - فقيل لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم، ما تتضمن هذه القصة ، وبيانه قوله في آخرها : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف ١١١) .

٢ - وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته وصبره على أذاهم وعفوه عنهم ، بعد الالتقاء بهم .

٣ - وقيل لأنه فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والإنس والأنعام والطير ، وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والجهال ، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن .

وفيها ذكر التوحيد والفقه وسير وتعبير الرؤيا ، والسياسة والاقتصاد والمعاشرة وتدبير المعاش وجميل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا .

٤ - وقيل لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما .

٥ - وقيل إنما كانت أحسن القصص ، لأن كل ما ذكر فيها كان مآله إلى السعادة .

انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته ، وامرأة العزيز والملك ، فما كان أمر الجميع إلا إلى الخير .

٦ - وقال الطبري :

أحسن القصص أي نخبرك يا محمد عن الأخبار الماضية ، وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية .

إطلالة على قصة يوسف

سورة يوسف هي قصة نبي واحد ، وجد في غير قومه ، قبل النبوة صغير السن ، وبلغ أشده واكتمل ، فنبىء وأرسل ودعا إلى دينه ، وكان مملوكاً ثم تولى إدارة الملك لقصر عظيم ، فأحسن الإدارة والتنظيم ، وكان خير قدوة للناس في رسالته ، وجميع ما دخل فيه من أطوار الحياة وطوارئها وطوارقها ، وأعظمها شأنه مع

أبيه وإخوته وآل بيت النبوة ، فكان من الحكمة أن تُجمع قصته في سورة واحدة .

وهي أطول قصة في القرآن ، افتتحت بثلاث آيات تمهيدية في ذكر القرآن وحسن قصصه ، ثم كانت إلى تمام المائة في تاريخ يوسف.

وختمت بإحدى عشرة آية في الاستدلال بها على ما أنزلها الله لأجله من إثبات رسالة خاتم النبيين ، وإعجاز كتابه والعبرة العامة لقصص الرسل عليهم السلام .

معلومة

ورد ذكر اسم يوسف في السورة المسماة باسمه :

- ❖ عشرين مرة ، ثم ذكر مرة واحدة في الأنعام ، ومرة في غافر.
- ❖ وقيل : أربع وعشرين آية من سورة يوسف .
- ❖ وقيل خمس وعشرين مرة في سورة يوسف .
- ● قال القرطبي في تفسيره :

ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة وبألفاظ متباينة على درجات البلاغة والبيان ، وذكر قصة يوسف عليه السلام ولم يكررها ، فلم يقدر مخالف على

معارضة المكرر ، والإعجاز واضح لمن تأمل ، وصدق الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

● وقال القرطبي :

روي أن جبريل جاء إلى يوسف وهو في السجن ، معاتباً له ، فقال له : يا يوسف مَنْ خلصك من القتل من أيدي إخوتك ؟ .

قال : الله تعالى .

قال : فمن أخرجك من الجُبّ ؟ .

قال : الله تعالى .

قال : فمن عصمك من الفاحشة ؟ .

قال : الله تعالى .

قال : فمن صرف عنك كيد النساء ؟ .

قال : الله تعالى .

قال : فكيف تركت ربك فلم تسأله ووثقت بمخلوق ؟ .

قال : يا رب كلمة زلت مني ، أسألك يا إله إبراهيم وإله يعقوب عليهم السلام أن ترحمني .

فقال له جبريل : فإن عقوبتك أن تلبث في السجن بضع سنين (بضع ما بين ثلاث ـ تسع ، وقد لبث يوسف سبع سنين) .

۞۞۞

القراءات

● يوسف : في يوسف ست لغات ، ضم السين وفتحها وكسرها بغير همز فيهن ، وبالهمز فيهن .

● يا أبت : يقرأ بكسر التاء ، والتاء فيه زائدة عوضاً عن ياء المتكلم ، وكسرت لتدل على الياء المحذوفة ، ويقرأ بفتحها .

● غيابة الجُبّ : يقرأ بألف بعد الياء ، وتخفيف الباء ، ويقرأ على الجمع .

● يأكله الذئب : يقرأ بالهمز ، لأن الأصل في الذئب الهمز ، ويقرأ بالياء على التخفيف .

● هيت لك : فيه قراءات :

- إحداها : فتح الهاء والتاء وياءٌ بينهما (هَيْتَ) .
- الثانية : كذلك إلا أنه بكسر التاء (هَيْتِ) .
- الثالثة : كذلك إلا أنه بضمها (هَيْتُ) .
- الرابعة : بكسر الهاء وهمزة ساكنة وضم التاء (هِئْتُ) .
- الخامسة : هيئت لك .
- السادسة : بكسر الهاء وسكون الهمزة وفتح التاء(هِئْتَ) .

● نُسوة : يقرأ بكسر النون ، ويقرأ بضم النون .

● صُواع الملك : الجمهور على ضم الصاد وألف بعد الواو ، ويقرأ (صاع الملك) .

● وِعاء أخيه : وفيها قراءات :

١ - الجمهور على كسر الواو ، وهو الأصل لأنه من وعي يعي .

٢ - يقرأ بالهمزة وهي بدل من الواو ، يقال وعاء ، وإعاء ، ووشاح وإشاح ، ووسادة وإسادة .

٣ - يقرأ بضمها ، وهي لغة (وُعاء) .

المتشابهات

● ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (يوسف ١٨ ـ٨٣)، في موضعين وليس بتكرار ، لأنه ذكر الأول حيث نُعي إليه يوسف ، والثاني حين رُفع إليه ما جرى على بنيامين .

● ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ (يوسف ٢٣ ـ٧٩)، في موضعين وليس بتكرار لأن الأول ذكره حين دعته إلى المواقعة ، والثاني حيث دُعي إلى تغيير حكم السرقة .

● ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ (يوسف ٣١ / ٥١)، في موضعين أحدهما في حضرة يوسف حين نفين عنه البشرية بزعمهن ، والثاني بظهر الغيب حين نفين عنه السوء .

● ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٣٦ /٧٨) ، في موضعين ليس بتكرار ، لأن الأول من كلام صاحبي السجن ليوسف ، والثاني من كلام إخوته له .

● ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف ١٠٩)، بالفاء وفي الروم / ٩ ، والملائكة /٤٤ بالواو ، لأن الفاء يدل على الاتصال والعطف والواو يدل على العطف المجرد ، وفي هذه السورة قد اتصلت بالأول.

● ﴿ تَٱللَّهِ ﴾ في ثلاثة مواضع :

الأول : يمين منهم أنهم ليسوا سارقين .

الثاني : يمين منهم أنك لو واظبت على هذا الحزن والجزع فستصير حرضاً .

الثالث : يمين منهم أن الله فضله عليهم .

الوقفة الثانية : مبهمات في قصة يوسف

▫ أحد عشر كوكباً /٤ :

خرتان ، والطارق ، والذيال ، وقابس، وعمودان ، والفيلق والمصبح ، والضروح ، والفرغ، ووثاب ، وذو الكتفين .

▫ على إخوتك /٥ ، هم :

رؤفين ، شمعون ، يهوذا ، لاوي ، رفولون ، دان ، يسخر آشر، نضتالي ، كاذ ، بنيامين .

▫ وأخوه /٨ :

بنيامين ، أخوه من أمه ليّا (راحيل) .

▫ اقتلوا يوسف /٩ :

القائل : هو شمعون .

▫ قال قائل /١٠ :

القائل : يهوذا .

▫ غيابة الجُبّ /١٠ :

هي جُبّ في أرض الأردن غربي بحيرة طبرية بأميال .

▫ واردهم /١٩ :

هو مالك بن ذعر الخزاعي .

▫ وقال الذي اشتراه /٢١ :

هو قطفين عزيز مصر ، اشتراه بوزنه مسكاً .

□ لامرأته /٢١ :

هي زليخا .

□ شاهد من أهلها / ٢٦ :

هو ابن خالها ، وكان طفلاً في المهد .

□ وقال نسوة /٣٠ :

هن خمس : امرأة الساقي ، والحاجب ، والخباز ، والسجان وصاحب الدواب .

□ وقال الملك /٤٣ :

هو الريان بن الوليد .

□ بضاعتهم /٦٢ :

كانت من بغال وأُدم .

□ صواع الملك /٧٢ :

كيل اتخذ من فضة ، كان يسميه يوسف سقاية ، وتسميه حاشيته صواع .

□ قال كبيرهم /٨٠ :

هو رؤفين وهو أسنّهم .

□ ريح يوسف /٩٤ :

هي ريح الصّبا .

□ جاء البشير /٩٦ :

وهو يهوذا .

أطراف قصة يوسف عليه السلام

١ - ملك مصر (فرعون يوسف) الريان بن الوليد .

٢ - عزيز مصر (قطفين/قطفير) .

٣ - امرأة العزيز (راعيل/ زليخا) .

٤ - نسوة المدينة (خمس نسوة) .

٥ - خازن الملك على طعامه (سرهم) .

٦ - ساقي الملك (شرهم) .

٧ - شاهد يوسف (ابن خالة راعيل/ زليخا) .

٨ - يوسف .

٩ - أبوه (يعقوب عليه السلام) .

١٠ - ليّا خالته . راحيل .

١١ - إخوته (بنيامين — وعشرة أخوة من خالته) .

١٢ - وارد السيارة (مالك بن ذعر الخزاعي) .

الوقفة الثالثة :
فوائد مستنبطة

المجموعة الأولى

❖ العدل بين الأولاد : بحيث لا يحب أحدهم أكثر من غيره ، أو يفضل أحدهم بإيثاره بشيء من الأشياء المادية والمعنوية ، سداً لباب الحقد والحسد والشحناء والكراهية والبغضاء .

قال تعالى :﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف ٨) .

❖ التحرز مما يخشى ضره ، بالاحتراز واتخاذ الحيطة والأخذ بالأسباب المعينة ، حتى لا يلوم نفسه أو يلوم غيره .

قال تعالى :﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾ (يوسف ٥) .

❖ الحذر من الذنوب وتسلسلها ، كما فعل إخوة يوسف بأخيهم ، إذ أجرموا في حق الله ، وفي حق والدهم ، وفي حق قرابته وفي حق يوسف نفسه .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ (يوسف ٩٧) .

❖ بعض الشر أهون من بعض ، فكان إخوة يوسف عليه السلام يبحثون عن وسيلة لإبعاد يوسف عن أبيهم ، ففكروا في القتل ، أو الطرح على الأرض ، أو الإلقاء في غيابت الجب ، إلى أن قال قائل منهم :﴿ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (يوسف ١٠) .

❖ الإخلاص لله تعالى أكبر الأسباب لحصول كل خير ، واندفاع كل شر ، فمن أخلص لله ، أخلصه وخلصه من الشرور ، وعصمه من السوء والفحشاء ، كما في قوله تعالى :﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف٢٤) .

❖ البُعد عن أسباب الفتن والهرب منها عند وقوعها ، والالتجاء إلى الله عند خوف الوقوع في فتن المعاصي والذنوب مع الصبر والاجتهاد في البعد عنها، كما فعل يوسف حين دعا ربه قائلا :﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (يوسف ٣٣) .

❖ استعمال الأسباب الواقية من العين أمرٌ غير ممنوع بل جائز ، وقيل مستحب بحسب الحال ، وإن كانت جميع الأمور بقضاء الله وقدره .

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ (يوسف ٦٧) .

❖ استعمال المعاريض عند الحاجة إليها ، فإن في المعاريض مندوحة عن الكذب، من مثل ﴿ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف ٧٦) ، ولم يقل : سرقها .

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾(يوسف ٧٩) ، ولم يقل (من سرق متاعنا) .

وإذا قيل : إن هذا اتهام للبريء ، قيل : إنما فعل ذلك بإذن أخيه ورضاه ، وإذا رضي زال المحذور .

❖ أخذ العلماء من الآية ٧٢ من سورة يوسف ثلاثة أبواب من أبواب العلم ، هي باب الجعالة ، وباب الضمان ، وباب الكفالة .

قال تعالى :﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ (يوسف ٧٢) .

﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من نوع الجعالة .

﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ أي ضامن وكفيل .

وهي من عقود التوثيق بالحقوق التي يتم بها توسيع المعاملات وإصلاحها .

المجموعة الثانية

- قال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ﴾ (يوسف ٥)، هذه الآية أصل في ألا نقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح ، ولا على من لا يحسن التأويل فيها .

ففي الحديث عن الرسول ﷺ : (الرؤيا جزء من أربعين جزءاً من النبوة ، والرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها صاحبها ، فإذا حدث بها وقعت ، فلا تحدثوا بها إلا عاقلاً أو محباً أو ناصحاً) أخرجه الترمذي ، وقال فيه : حديث حسن صحيح .

- قال تعالى : ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ (يوسف ١٦)

قال علماؤنا : هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله ، لاحتمال أن يكون تصنعاً ، فمن الخلق من يقدر على ذلك ، ومنهم من لا يقدر .

وقد قيل : إن الدمع المصنوع لا يخفى .

كما قال حكيم :

إذا اشتبكت دموعٌ في خدود

تبين من بكى ممن تباكى

(ضربني وبكى ، وسبقني واشتكى) ، (دموع التماسيح) .

- قال تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (يوسف ١٨) قال علماؤنا : لما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم ، قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها ، وهي سلامة القميص من التنييب إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص ويسلم القميص من التخريق .

- لما تأمل يعقوب عليه السلام القميص فلم يجد فيه خرقاً ولا أثراً استدل بذلك على كذبهم ، وقال لهم : متى كان هذا الذئب حكيماً ! ، يأكل يوسف ولا يخرق القميص ، قاله ابن عباس .

قال عليه الصلاة والسلام في حديث الإسراء من صحيح مسلم : (فإذا أنا بيوسف إذ هو قد أعطي شطر الحسن) .

وقال كعب الأحبار : كان يوسف حسن الوجه ، جعد الشعر ضخم العينين ، مستوي الخلق ، أبيض اللون ، غليظ الساعدين والعضدين ، خميص البطن صغير السرة ، إذا ابتسم رأيت النور من ضواحكه ، وإذا تكلم رأيت في كلامة شعاع الشمس من ثناياه ،

ولا يستطيع أحد وصفه ، وكان حسنه كضوء النهار عند الليل ، وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية .

وقيل إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة ، وكانت قد أعطيت سدس الحسن .

- قال تعالى :﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ (يوسف ٢٠) ، في هذه الآية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير ، ويكون البيع لازماً ، ولهذا قال مالك رحمة الله : لو باع دُرّة ذات خطر عظيم بدرهم ، ثم قال : لم أعلم أنها دُرّة ، حسبتها مخشبلة (خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ) لزم البيع ، ولم يلتفت إلى قوله .

- ورد أن امرأة العزيز كانت تقول :

يا يوسف ! ، ما أحسن صورة وجهك .

قال : في الرحم صورني ربي .

قالت : يا يوسف ، ما أحسن شعرك ! .

قال : هو أول شيء يبلى مني في قبري .

قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك ! .

قال : بهما أنظر إلى ربي .

قالت : يا يوسف ارفع بصرك ، فانظر في وجهي .

قال : إني أخاف العمى في آخرتي .

قالت : يا يوسف أدنو منك ، وتتباعد مني ؟.

قال : أريد بذلك القرب من ربي .

قالت : يا يوسف القيطون (المخدع ، أعجمي ، وقيل : بلغة أهل مصر والبربر) فادخل معي .

قال : القيطون لا يسترني من ربي .

قالت : يا يوسف ، فراش الحرير قد فرشته لك ، قم فاقضي حاجتي .

قال : إذاً يذهب من الجنة نصيبي .

- كان يوسف عليه السلام غريباً رقيقاً ربيباً ، ومع ذلك تزينت امرأة العزيز له ، وهيأت كل الأسباب ، وغلقت كل الأبواب ، ودعته بنفسها إلى نفسها وسهلت له أمرها ، وهو الغريب عن أهله ووطنه ، العبد المملوك للعزيز وامرأته .

الربيب الذي عاش في كنف العزيز وامرأته ، وما كان من يوسف إلا أن حافظ على غربته (يا غريب كن أديباً) ، وصان عهد الرق وحفظ معروف الرباية ، فاستعصم بالله وامتنع عن الشيطان وإغوائه.

- قصة يوسف تذكرنا بحديث رسول الله ﷺ المشهور : ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة (طاعة) الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، وشاب دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله)) .

- قال سبحانه : ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ﴾ (يوسف ٢٥) .

في الآية دليل على القياس والاعتبار والعمل بالعرف والعادة ، لما ذكر من قدّ القميص مقبلاً ومدبراً ، وهذا أمر انفرد به المالكية في كتبهم ، وذلك أن القميص إذا جُبذ من خلف تمزق من تلك الجهة ، وإذا جُبذ من قدام تمزق من تلك الجهة ، وهذا هو الأغلب .

- قال عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ ﴾ (يوسف ٣٥) .

قيل من الآيات : القميص وشهادة الشاهد ، وقطع الأيدي ، وإعظام النساء ليوسف عليه السلام .

- قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ (يوسف ٤٢) .

في هذه الآية دليل على جواز التعلق بالأسباب وإن كان اليقين حاصلاً ، فإن الأمور بيد مُسببها ، ولكنه جعلها سلسلة وركب بعضها على بعض ، فتحريكها سنة ، والتعويل على المنتهى يقين .
والذي يدل على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان كما جرى لموسى في لقيا الخضر ، وهذا بين فتأملوه .

- قال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ﴾ (يوسف ٤٤) ، في الآية دليل على بطلان قول من يقول :

إن الرؤيا على أول ما تعبر ، لأن القوم قالوا ﴿ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ﴾ ، ولم تقع ، كذلك فإن يوسف فسرها على سني الجدب والخصب ، فكان كما عبر ، وفيها دليل على فساد أن الرؤيا على رِجْل طائر ، فإذا عبرت وقعت .

- قال سبحانه : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ (يوسف ٤٧)

هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال .

فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة ، وكل ما يفوت شيئاً منها فهو مفسدة ، ودفعه مصلحة ، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية ، ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضل من الله عز وجل ورحمة رحم بها عباده ، من غير وجوب عليه ، ولاستحقاق هذا مذهب كافة المحققين من أهل السنة أجمعين ، وبسطه في أصول الفقه .

- حكى زيد بن أسلم عن أبيه : أن يوسف كان يضع طعام الاثنين فيقربه إلى رجل واحد فيأكل بعضه ، حتى إذا كان يومٌ قربه له فأكله كله ، فقال يوسف : هذا أول يوم من السبع الشداد .

- قال عز وجل : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ (يوسف ٤٨) . هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر ، وأنها تخرج على حسب ما رأى ، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن ، فكيف إذا كانت آية لنبي ومعجزة لرسول وتصديقاً لمصطفى التبليغ وحجة للواسطة بين الله جل جلاله وعباده .

- ورد في الأخبار : يرحم الله أخي يوسف ، لو لم يقل (اجعلني على خزائن الأرض) لاستعمله من ساعته ، ولكن أخر ذلك سنة .

قيل : إنما تأخر تمليكه إلى سنة لأنه لم يقل (إني) إن شاء الله (حفيظ عليم) .

- قال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف ٥٥) .

قال بعض أهل العلم : في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر ، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعلٍ لا يعارضه فيه ، فيصلح منه ما شاء ، وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره ، فلا يجوز ذلك .

ودلت الآية على جواز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً .

- إن قيل : كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه ؟ ، ﴿ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ (يوسف ٥٩) .

قيل عن هذا أربعة أجوبة :

الأول : يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب ليعظم له الثواب ، فاتبع أمره فيه .

الثاني : يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف عليه السلام .

الثالث : لتتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه .

الرابع : ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته ، لميلٍ كان منه إليه .

والأول هو الأظهر .

- قال تعالى : ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (يوسف ٦٦) .

هذه الآية أصل في جواز الحمالة (الكفالة) بالعين والوثيقة بالنفس .

- قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ ﴾ (يوسف ٦٧) .

لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين ، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد ، وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجل واحد ، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطه .

- قال عز وجل : ﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ (يوسف ٧٢) .

قال بعض العلماء : في هذه الآية دليلان :

الأول : جواز الجُعْل ، وقد أجيز للضرورة ، فإنه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره .

والثاني : جواز الكفالة على الرجل .

- قال تعالى : ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ (يوسف ٨١) .

تضمنت هذه الآية جواز الشهادة بأي وجه حصل العلم بها ، فإن الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً ، فلا تُسمع إلا ممن علم ، ولا تقبل إلا منهم ، وهذا هو الأصل في الشهادات ، ولهذا قال بعض الفقهاء: شهادة الأعمى جائزة ، وشهادة المستمع جائزة ، وشهادة الأخرس إذا فهمت إشارته جائزة ، وكذلك الشهادة على الخط إذا تيقن أنه خطه ، أو خط فلان صحيحة .

فكل من حصل له العلم بشيء جاز أن يشهد به ، وإن لم يُشهِده المشهود عليه .

- قال سبحانه : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ﴾ (يوسف ٨٢) .

في هذه الآية من الفقه أن كل من كان على حق وعلم أنه قد يُظن به أنه على خلاف ما هو عليه ، أو يتوهم أن يرفع التهمة وكل

ريبة عن نفسه ويصرح بالحق الذي هو عليه، حتى لا يبقى لأحد مُتكَّلم وقد فعل هذا نبينا محمد ﷺ بقوله للرجلين الذين مرا وهو قد خرج مع صفية يردها من المسجد على رسلكما! ، إنما هي صفية بنت حُيي .

فقالوا : سبحان الله : وكبُر عليهما ، فقال ﷺ : ((إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئا))، رواه البخاري ومسلم .

- قال عز وجل :﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ ﴾ (يوسف ٨٣) ، الواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل ، والرضا والتسليم لمجريه عليه وهو العليم الحكيم ، ويقتدى بيعقوب وسائر النبيين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين .

- قال سبحانه :﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ﴾ (يوسف ٩٢) ، هذا هو الأصل عند بعض المشايخ : ذِكْرُ الجفا في وقت الصفا جفا ، وهو قول صحيح دل عليه الكتاب .

وفي قصة يوسف،ورد قوله لإخوته :﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ ﴾ (يوسف ١٠٠)،ولم يقل من الجُبّ ، لئلا يُذكِّر إخوته صنيعهم بعد عفوه عنهم .

المجموعة الثالثة

❖ ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ (يوسف ٦) .

قال عكرمة : فنعمته على إبراهيم أن نجاه الله من النار ، وعلى إسحاق أن أنجاه الله من الذبح ، وهذا قول عكرمة ، لكن خالفه غيره ، والقول الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وأدلة ذلك كثيرة .

❖ قال ابن عطاء : ما سمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها .

❖ ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ (يوسف٨) ، كان يعقوب قد كلف بهما لموت أمهما ، وزاد في المراعاة لهما ، فذلك سبب حسدهم لهما ، وكان شديد الحب ليوسف ، فكان الحسد له أكثر ، ثم رأى الرؤيا فصار الحسد له أشد .

❖ قال الألوسي رحمه الله في تفسيره ١٢/ ١٨٤ :

والذي عليه الأكثرون سلفاً وخلفاً أن إخوة يوسف لم يكونوا أنبياء أصلاً .

❖ قال محمد بن اسحاق : ابتلى الله يعقوب في كبره ، ويوسف في صغره لينظر كيف عزمهما .

❖ ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (يوسف ٢٢) ، الفرق بين الحكيم والعالم أن الحكيم هو العامل بعلمه ، والعالم هو المقتصر على العلم دون العمل .

❖ قال محمد بن اسحاق : وكان قطفير فيما يحكى لنا رجلاً لا يأتي النساء ، وكانت امرأته حسناء ، وكان يوسف عليه السلام قد أُعطي من الحسن ما لم يعطه أحد قبله ولا بعده ، كما لم يكن في النساء مثل حواء حُسناً .

قال ابن عباس اقتسم يوسف وحواء الحسن نصفين .

❖ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (يوسف ٢٤) ، إن قيل : كيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا الفعل وهو نبي الله عز وجل؟ .

نقول هي منه معصية ، وفي معاصي الأنبياء ثلاثة أوجه :

الأول : أن كل نبي ابتلاه الله بخطيئة ، إنما ابتلاه ليكون من الله تعالى على وجل إذا ذكرها ، فيجد في طاعته إشفاقاً منها ، ولا يتكل على سعة عفوه ورحمته .

الثاني : أن الله تعالى ابتلاهم بذلك ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم وترك عقوبتهم في الآخرة على معصيتهم .

الثالث : أنه ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس في عفوه عنهم إذا تابوا .

❖ قال الألوسي رحمه الله في تفسيره ١٢/٢٢١ :جعل الله تعالى الشاهد من أهلها ، قيل ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة وألزم لها .

❖ قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٢٢٢ : وسبب حبسه بعد ظهور صدقه ، ما حكى السدي أن المرأة قالت لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني ، وقال إني راودته عن نفسه ، فإما أن تطلقني حتى أعتذر ، وإما أن تحبسه مثل ما حبستني، فحبسه ، وهذا هو الصحيح ، لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة .

❖ ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ (يوسف ٣٦) ، قال مجاهد: أنهما قالا ليوسف لما حُبسا معه :والله لقد أحببناك حين رأيناك .

فقال يوسف : أنشدكما بالله إن أحببتماني فما أحبني أحد إلا دخل علي من حبه بلاء ، لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ، ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ، ثم أحبتني زوجة

صاحبي العزيز ، فدخل علي من حبها بلاء ، لا أريد أن يحبني إلا ربي .

❖ قال الألوسي في تفسيره ١٢/ ٢٣٧ : قال ابن عباس رضي الله عنه أنه أُمر بيوسف عليه السلام فحُمل على حمار وضرب معه الطبل ونودي عليه في أسواق مصر أن يوسف العبراني راود سيدته ، فهذا جزاؤه ، وكان ابن عباس كلما ذكر هذا بكى .

وأرادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته كما انصرفت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال بنفسها وأعوانها .

❖ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ : (رحم الله يوسف ، لولا الكلمة التي قال : اذكرني عند ربك ، ما لبث في السجن ما لبث) .

قال ابن عباس : عوقب يوسف بطول السجن بضع سنين ، لما قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك ، ولو ذكر يوسف ربه لخلصه .

❖ ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ (يوسف ٤٦) ، الفرق بين الصادق والصديق ، أن الصادق : في قوله بلسانه ، والصديق : من صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره ، فصار كل صديق صادقاً ، وليس كل صادق صديقاً .

❖ حكى ابن سيرين عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : نزعني عمر بن الخطاب ﷺ عن عمل البحرين ، ثم دعاني إليها فأبيت فقال عمر : لم وقد سأل يوسف العمل ؟ .

❖ قال الشوكاني رحمه الله في تفسيره ٣/٣٥ : في قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف ٥٥) ، فيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل ، طلب ذلك لنفسه ، ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها ترغيباً فيما يروقه وتنشيطاً لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه وجعلها منوطة به .

وقد استدل بهذه الآية على أنه يجوز تولي الأعمال من جهة السلطان الجائر بل الكافر لمن وثق بنفسه بالقيام بالحق .

وفيه دليل على جواز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً وهو بحقوقه وشروطه قائم .

❖ ﴿ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ (يوسف ٥٨) : لأنهم فارقوه صغيراً فكبر وفقيراً فاستغنى ، وباعوه عبداً فصار ملكاً ، فلذلك أنكروه ولم يتعرفوا عليه .

❖ ﴿ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡ ﴾ (يوسف ٥٩) ، قال السدي : أدخلهم الدار وقال : قد استربت بكم ، فأخبروني من أنتم فإني أخاف أن تكونوا عيوناً ، فذكروا حال أبيهم وحالهم وحال يوسف وحال أخيه وتخلفه مع أبيه .

فقال : إن كنتم صادقين فائتوني بهذا الأخ الذي لكم من أبيكم وأظهر لهم أنه يريد أن يستبرىء به أحوالهم .

وقيل : بل وصفوا له أنه أحبُ إلى أبيهم منهم ، فأظهر لهم محبة رؤيته .

❖ قال السدي : وطلب منهم رهينة حتى يرجعوا ، فارتهن يهوذا عنده .

قال الكلبي : إنما اختار يهوذا منهم لأنهم يوم الجُبّ كان أجملهم قولاً وأحسنهم رأياً ، ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ (يوسف ١٠).

❖ ﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ ﴾ (يوسف ٦٢) ، قال بعض العلماء : نبه الله تعالى برد بضاعتهم إليهم ، على أن أعمال العباد تعود إليهم فيما يثابون إليه من الطاعات ، ويعاقبون عليه من المعاصي .

❖ ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ (يوسف ٦٨) ، وهو حذر المشفق وسكون نفسه بالوصية أن يتفرقوا خشية العين ، إشارة لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ (يوسف ٦٧) .

❖ وسبب قول يعقوب: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (يوسف ٨٦) : ما حُكي أن رجلاً دخل عليه فقال : ما بلغ منك ما أرى ؟ .

قال : طول الزمان وكثرة الأحزان .

فأوحى الله إليه : يا يعقوب تشكوني؟ .

فقال : خطيئة أخطأتها فاغفرها لي .

وكان بعد ذلك يقول : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ .

❖ قال الحسن : وكان الذي حمل قميص يوسف ليعقوب عليهم السلام يهوذا ، حيث قال ليوسف : أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته ، فأنا الآن أحمل قميصك لأسره ، وليعود إليه بصره ، فحمله ، حكاه السري .

﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (يوسف ٩٣) ، ويهوذا هو المشار إليه بقوله :﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ (يوسف ٩٦) ، وسُمي بذلك لأنه أتى يعقوب ببشارة .

❖ قال تعالى عن لسان يعقوب :﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾ (يوسف ٩٨) ، وقال سبحانه على لسان يوسف :﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾(يوسف ٩٢) .

قال عطاء: طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ .

❖ تأول بعض أصحاب الخواطر قوله سبحانه :﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ (يوسف ١٠٠) ، أي من سجن السخط إلى فضاء الرضا .

❖ ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ (يوسف ١٠٠) ، قال قتادة : لطيف بيوسف بإخراجه من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونزع عن يوسف نزغ الشيطان .

❖ حكى الحسن :أن البشير (يهوذا) لما أتى يعقوب ، قال له يعقوب عليه السلام :على أي حال دين خلفت يوسف ؟ .

قال : على دين الإسلام .

قال : الآن تمت النعمة .

❖ قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ (يوسف ١٠٩) .

قال قتادة : من أهل الأمصار دون البوادي ، لأنهم أعلم وأحلم .

وقال الحسن : لم يبعث الله تعالى نبياً من أهل البادية قط ، ولا من النساء ، ولا من الجن .

قال الشوكاني في تفسيره ٣/٦٠ : تدل هذه الآية على أن الله سبحانه لم يبعث نبياً من النساء ، ولا من الجن .

وهذا يرد على من قال إن في النساء أربع نبيات :

حواء ، وآسية ،وأم موسى ، ومريم .

❖ قال تعالى :﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (يوسف ١١١) : يعني في قصص يوسف وإخوته اعتبار لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن ، وعن الذل والرق إلى أن جعله ملكاً مطاعاً ونبياً مبعوثاً ، فهو على نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر ، وإنما الإمهال إنذار وإعذار .

الوقفة الرابعة : الأربعون في قصة يوسف

■ لما بلغ أشدّه /٢٢ : أربعون سنة .

■ خروا له /١٠٠ : هم أبوه (يعقوب) وخالته وإخوته ، وكان مدة غيبته أربعين سنة .

■ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة /٢٠ : هو أربعون درهماً .

■ وقال نسوة /٣٠ ـ فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن/٣٠ : حيث دعت امرأة العزيز أربعين امرأة من النسوة اللواتي عيرنها .

قال وهب بن منبه : بلغني أن تسعاً من الأربعين فُتِنَّ في ذلك المجلس وجداً بيوسف .

■ هذا تأويل رؤياي /١٠٢ : قيل كان بين رؤياه وبين تأويلها أربعون سنة .

■ ونحن عصبة /٨ : قيل في العصبة : من عشرة إلى أربعين .

■ اعتكف يعقوب عليه السلام في بيت الأحزان أربعين سنة .

■ ((الرؤيا جزء من أربعين جزءً من النبوة)) .

الوقفة الخامسة : ثلاثيات قرآنية من قصة يوسف

- ثلاثية يوسف : قابل يوسف عليه السلام إغراءات ومحاولات امرأة العزيز الثلاث ، بثلاث تحصينات ، قال تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ ﴾ وقوبلت بـ ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (يوسف ٢٣) .

- ثلاثية وصف القرآن : نفى الله عن كتابه العزيز الكذب والخطأ من جميع الوجوه ، ووصفه بثلاث صفات : أنه تصديق الذي بين يديه ، وأنه تفصيلٌ لكل شيء ، وأنه هدىً ورحمةٌ لقوم يؤمنون .

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يوسف ١١١) .

- ثلاثية قميص يوسف : أجرى الله تعالى أمر يوسف من ابتدائه إلى انتهائه على ثلاثة أقمصة :

الأول : قميصه المضرج بدم كذب .

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ ﴾ (يوسف ١٨) .

الثاني : قميصه الذي قُدّ من دُبُر .

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾ (يوسف ٢٧) .

الثالث : قميصه الذي أُلقي على وجه أبيه فارتد بصيراً .

﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (يوسف ٩٣) ولكلٍ من هذه الأقمصة موضع من ضرب المثل وإجراء النادرة .

- ثلاثية النفس : قال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ (الفجر ٢٧).

وقال تعالى :﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة ٢) .

وقال تعالى :﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ (يوسف ٥٣) .

هذه هي أهم أقسام النفس البشرية ، مترددة بين ثلاث حالات :

الاطمئنان ، اللوم ، الأمر بالسوء .

■ قال تعالى :﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ .

وفي نزغه وجهان :الأول : أنه إيقاع الحسد ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه حرشّ وأفسد ، قاله ابن قتينة .

وفي هذه الآية اقتصر على فتنة السجن مع أنه فُتن أكثر من مرة لأمور منها :

١ - ترك يوسف ذِكْر الجُبّ مثلاً تكرماً ، لئلا يذكر إخوته صنيعهم ، وقد قال : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ (يوسف ٩٢) .

٢ - أن يوسف خرج من الجُب إلى السوق ، ومن السجن إلى المُلك ، فكانت هذه النعمة أوفى .

٣ - أن طول لُبث يوسف في السجن كان عقوبة له ، بخلاف الجُبّ ، فشكر الله على عفوه .

■ ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ (يوسف ٤٢) .

■ ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف ٢٤) .

■ ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ (يوسف ٢٤) .

الوقفة السابعة :
لطائف وطرائف من
قصة يوسف

■ قال الزمخشري في تفسيره "الكشاف" :

لقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة :

أ - برأ الله يوسف بلسان الشاهد ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ (يوسف ٢٦) .

ب - وبرأ موسى من قول اليهود فيه ، بالحجر الذي ذهب بثوبه .

جـ - وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾(مريم ٣٠) .

د - وبرأ عائشة رضي الله عنها بهذه الآيات :﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ (النور ٢٢ -٢٦) .

■ ذكر القاضي عياض في كتابه "الشفا" : أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ هذه الآية ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ (يوسف ٨٠) .

فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام .

ذلك أن الآية ذكرت صفة اعتذارهم لجميع الناس ، وانفرادهم عن غيرهم وتقليبهم الآراء ظهراً لبطن ، وأخذهم في تزوير ما يلقون به أباهم عند عودتهم إليه ، وما يوردون عليه من ذكر الحادث ، فتضمنت تلك الآية القصيرة معاني القصة الطويلة .

▪ صواحب يوسف : يقال للنساء عند شكايتهن وذم أخلاقهن قال النبي ﷺ لبعض نسائه وهو يعاتبها :((إنكن صواحبات يوسف)) .

قال أبو تمام :

فهنّ عوادي يوسفٍ وصواحبُه

فعَزْماً فقِدماً أدرك السُّؤْل طالبُه

▪ قال رجلٌ لنسوة : إنكن صواحب يوسف ! .

فقلن له : فمَنْ رماه في الجُبّ .

نحن أم أنتم ؟ ! .

فلم يُحْر جواباً !! .

▪ كيد النساء : يُضرب المثل في كل زمان ومكان ، قال بعض السلف :

إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٧٦) .

وقال سبحانه وتعالى في شأن كيد النساء : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (يوسف ٢٨) ، ذلك أن كيد الشيطان يكون سراً ، وكيد النساء يكون جهراً .

▪ توالت على يوسف عليه السلام نِعْمٌ خمسة (الخروج من الجُبّ، والخروج من السجن ، والخروج من الرق ، والخروج من فتنة امرأة العزيز ، والمُلْك) .

▪ أفرس الناس ثلاثة : العزيز الذي تفرس في يوسف عليه السلام، فقال لامرأته :﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ (يوسف ٢١) ، وصفورا بنت شعيب عليه السلام ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه .

▪ إن يوسف عليه السلام قدر على العقوبة فغفر لإخوانه وقال لهم :﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (يوسف ٩٢) .

▪ يُروى أن إخوة يوسف لما قالوا لأبيهم :﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ (يوسف ١٧) ، قال لهم أروني قميصه ، فأروه إياه مضرجاً بالدم غير ممزق .

فقال : تالله ما رأيت ذئباً أصلح من هذا وأرفق ؟ ، أكل ابني ولم يمزق قميصه ! .

▪ قال الشعبي : كان في قميص يوسف ثلاث آيات ، لما جاؤوا إلى أبيه فقالوا : أكله الذئب ، فقال أبوه : لئن أكله الذئب ليشقن قميصه ،وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف ، فعرف

الشاهد أنه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه ، وحين ألقي على وجهه (وجه أبيه) ارتد بصيراً.

▪ الفراعنة ثلاثة :

١ -سنان بن علوان / فرعون إبراهيم الخليل .

٢ - الريان بن الوليد / فرعون يوسف الصديق .

٤ - الوليد بن مصعب / فرعون موسى الكليم عليهم السلام.

▪ قيل : أول من سمّى يوسف بهذا الاسم آدم عليه السلام .

▪ قيل : إن يوسف ورث الجمال من إسحاق ، وإسحاق ورثه من أمه سارة ، وسارة ورثت الجمال من أمها حواء .

▪ قال كعب : قُسِّم الجمال عشرة أجزاء ، تسعة منها ليوسف وواحد لجميع أولاد آدم .

▪ قال الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز :

فرّقت قصص الأنبياء في القرآن ، وجمع الله قصة يوسف في سورة واحدة ، وسماه في هذه السورة بثلاثة وثلاثين اسماً منها :

المجتبى ، المُعلِّم ، غلام ، ولد ، مُحْسن ، مُخْلص ، فتى ، صدِّيق ، زعيم ، عزيز ، ...

■ ذكر الله تعالى يوسف باسمه في خمسة وعشرين موضعاً من التنزيل .

■ قال أحدهم :

كم نعمةٍ مستورة في الظلام

كم نعمةٍ مغمورة في الكلامْ

آدمُ في الجنة نال النوى

ونال في الطوفان نوحٌ سلامْ

يعقوبُ قد عُوقب في هجره

بيت أحزان رهينُ اغتمامْ

ثم ابنُه قد صُرّ من بئره

فقيل يا بُشرى هذا غلامْ

■ روى صاحب الكشاف "الزمخشري" : أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ؟ .

فسكت رسول الله ﷺ ، فنزل جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فقال عليه السلام لليهودي : إن أخبرتك هل تُسلم ؟ .

قال : نعم .

قال : حرثان ، والطارق ، والذيال ، وقابس ، وعمودان ، والفيلق ، والمصبح ، والضروح ، والفرغ ، ووثاب ، وذو الكتفين ، رآها يوسف والشمس والقمر نزلت من السماء وسجدت له .

فقال اليهودي : أي والله ! ، إنها لأسماؤها .

■ ثلاثية الجميل :

ذكر الله تعالى في كتابه ثلاثة أمور وصفها بالجميل وأمر نبيه بها وهي :

الصبر : ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾ (المعارج ٥) ، أي الصبر الذي لا شكوى فيه .

الهجر : ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾ (المزمل ١٠) ، أي الهجر الذي لا أذية معه .

الصفح : ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ (الحجر ٨٥) ، أي الصفح الذي لا عتاب معه .

وفي سورة يوسف :

ورد قول يعقوب عليه السلام : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (يوسف ١٨) .

■ قيل للحسن البصري وقد اشتد جزعه على أخيه سعيد : أنت تنهى عن الجزع ، وقد صرت منه إلى غاية ! .

فقال : سبحان الله مَنْ لم يجعل الحزن عاراً على يعقوب .

فجعل جوابه احتجاجاً ، يريد قوله تعالى :﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف ٨٤) .

■ نظر شيخ إلى امرأتين تتلاعبان في الطريق ، فقال : إنكن صويحبات يوسف .

فقالت إحداهن : يا عم فمن ألقاه في غيابة الجُبّ؟نحن أم أنتم ؟.

■ وقال العباس بن الأحنف :

وقـد زعمـت جُمْلٌ بأنـي أريـدها
على نفسها تباً كذلك من فِعْلِ
سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسفٍ
فإن قميصي لم يكن قُدّ من قُبْلِ .

■ قيل للحسن البصري : أيكذب المؤمن ؟ .

فقال : أنسيتم إخوة يوسف !! .

■ قيل : ثمانية أنفس ابتلوا بفراق ثمانية :

١) اُبتلي آدم بفراق الجنة ، فوقع في محن الدنيا .

٢) اُبتلي نوح بفراق كنعان ، فوقع في الملامة .

٣) اُبتلي يونس بفراق القوم ، فوقع في ظلمة البحر والحوت .

٤) اُبتلي سليمان بفراق المُلك ، فوقع في الابتلاء والملامة .

٥) اُبتلي موسى بفراق أمه ، فوقع في قبضة فرعون .

٦) اُبتلي يعقوب بفراق ابنه ، فوقع في بيت الأحزان .

٧) اُبتلي يوسف بفراق أبيه ، فوقع في الجُبّ .

٨) اُبتلي محمد ﷺ بفراق مكة ، فصار في دار الهجرة .

عليهم الصلاة والسلام .

■ محن الله تعالى يوسف بعشر محن ، هي :

١) محنة فراق أبيه .

٢) محنة جفاء إخوته .

٣) محنة الجُبّ .

٤) محنة الابتلاء بامرأة العزيز .

٥) محنة الابتلاء بقصد زليخا .

٦) محنة حيل نساء مصر .

٧) محنة دعوة الشيطان إلى الفتنة .

٨) محنة السجن والحبس .

٩) محنة الافتراء والزور والبهتان .

١٠) محنة الابتلاء بالمال والمُلك .

■ كافأ الله يوسف بعشر منح :

١) ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ /١٠٠.

٢) ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ /١٠٠.

٣) ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ /١٥.

٤) ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ /٥٦.

٥) ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ /٢٦.

٦) ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ /٥١.

٧) ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ /٢٤.

٨) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ﴾ /٨٨.

٩) ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ /٥١.

١٠) ﴿ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ /١٠١.

■ قال أحد الشعراء :

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبْةٍ
وأصبحت منها في حزون من الحزنِ

فلا تيأسن فالله ملّك يُوسُفاً

خزائنه بعد الخلاص من السجنِ

■ لما قرأ ﷺ قوله : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ ،قال : رحم الله أخي يوسف ، هلا سأل الله العفو والعافية .

■ ولما قرأ عليه السلام قوله :﴿ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى ﴾ ، قال : رحم الله يوسف ، لو كنت أنا لبادرت الباب .

وفي رواية أخرى : لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً .

■ وأسأل القرية :أي أهل القرية،وجاز حذف المضاف لأن المعنى لا يلتبس،فأما قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ ﴾،فيراد بها الإبل، فعلى هذا يكون المضاف محذوفاً أيضاً،أي أصحاب العير،وقيل العير القافلة،وهم الناس الراجعون من السفر،فعلى هذا ليس فيه حذف .

■ ورد أن الملك الريان بن الوليد فرعون مصر في زمن يوسف عليه السلام لما مات عزيز مصر قطفير زوج الملك يوسف بامرأة قطفير وجعله عزيز مصر ، فدخل يوسف بـ راعيل (زليخا لقبها) فوجدها عذراء .

فولدت له ولدين : أفرائيم ومنشا ، ابني يوسف عليه السلام .

■ استأذن آدم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على يعقوب بن الربيع ، وهو على الشراب فأمر برفعه والإذن له .

فلما دخل قال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ (يوسف ٩٤) ، فأمر برد الشراب ونادمه ! .

■ قال محمد بن زيد العلوي :

وراء مضيق الخوف متسع الأمن
وأول مَعروج بـه آخـر الـحزنِ
فلا تيأسن فالله ملّك يوسفاً
خزائنه بعد الخلاص من السجنِ.

■ قال أبو علقمة :

إن اسم الذئب الذي أكل يوسف رغمون ، فقيل له : إن يوسف لم يأكله الذئب ، وإنما كذبوا عليه ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (يوسف ١٨) .

قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكله قبل !! .

■ ابن الأخيار والكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم ، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

▪ قال الشعبي : كنت جالساً عند القاضي شريح ، إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب ، وتبكي بكاءً شديداً .

فقلت : أصلحك الله ، ما أراها إلا مظلومة .

قال : وما أعلمك ؟ .

قلت : لبكائها .

قال : لا تفعل فإن إخوة يوسف ﴿ وَجَآءُو أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ (يوسف ١٦) ، وهم ظالمون .

▪ لقي خالد بن صفوان الفرزدق ، وكان الفرزدق قبيحاً ، فقال له خالد :

يا أبا فراس ، ما أنت بالذي ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (يوسف ٣١) .

فقال له الفرزدق : ولا أنت بالذي قالت الفتاة لأبيها ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ (القصص ٢٦) .

▪ قال الأصمعي :

صلى أعرابي بالبادية فقرأ (الحمد لله) بفصاحة وبيان ثم قال :

ويوسفُ إذ أدلاه أولادُ غيلةٍ

فأصبح في قعر الركيّة ثاوياً

ثم ركع ، فلما فرغ قلت له : يا أعرابي ، ليس هذا في القرآن .

قال : بلى ، والله قد سمعت كلاماً هذا معناه .

■ قال الجاحظ :

مررت بمعلم ، وقد كتب على لوح صبي ﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾ ، ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ (الطارق ١٦-١٧) .

فقلت : ويحك أ تدخل سورة في سورة ؟ .

قال : نعم ، عافاك الله ، إن والده يدخل أجرتي شهراً في شهر وأنا أيضاً أدخل سورة في سورة ، فلا أنا آخذ شيئاً ، ولا الصبي يتعلم شيئاً .

■ قال أعرابي في أبي داود بن المهلب :

له حِلْمُ لقمانٍ وصورة يوسف
وحكمُ سليمان وعدلُ أبي بكرِ
فتىً تَفْرق الأموال من جود كفه
كما يَفْرق الشيطان من ليلة القدرِ

■ تكلم الحسن البصري يوماً فارتفعت أصوات من حوله بالبكاء ، فقال : عجٌ كعجيج النساء ، وبكاء كبكاء إخوة يوسف .

▪ كان يقال : لا تلقن صاحبك الشر ، فأخلق به ألا تلقنه ، ويحتج به عليك ، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام قال لبنيه في شأن يوسف: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ (يوسف ١٣) ، فتلقوه من فمه ، وقالوا: ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾(يوسف ١٧) .

▪ قال أبو عبد الله المرزباني منشداً :

وقائلةٍ وقد بَصرت بدمعٍ
على الخدين منهملٍ سكوبِ
أتكذب في البكاء وأنت خلوٌ
قديماً ما جسرت على ذنوبِ
قميصك والدموع تجول فيه
وقلبك ليس بالقلب الكئيبِ
نظير قميص يوسف يوم جاؤا
على لُبَّاته بدمٍ كذوبِ

■ كتب أبو العيناء إلى أحمد بن أبي داود :

جعلني الله فداك ، مسنا الضر وبضاعتنا المودة والشكر ، إشارة إلى قول إخوة يوسف :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ ﴾ (يوسف ٨٨) .

■ جاء في الأمثال : من عُرِف بالكذب ، لم يُجز صدقه .

لا يقبل الصدق من الكذاب ، وإن أتي بمنطق الصواب ، إشارة إلى قصة يوسف ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ (يوسف ١٧) .

■ من أمثال العرب في حفظ السر :

صدرك أوسع لسرك من دمك، إشارة لما جاء في قصة يوسف ﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا ﴾ (يوسف ٥) .

■ قال الحسن البصري : مَنْ أحسن عبادة الله في شبيبته لقاه الله الحكمة في اكتهاله ، كما قال تعالى في شأن يوسف عليه السلام :﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (يوسف ٢٢)..

■ قال المتنبي :

كأن كل سؤال في مسامعه

قميص يوسف في أجفان يعقوب

■ قال ابن المعتز :

بنو هاشم عودوا نَعُدْ لمودةٍ

فإنا إلى الحسنى سراجُ التعطفِ

لقد بلغ الشيطان من آل هاشم

مبالغه من قَبْلُ في آل يوسفِ

■ وقال آخر :

يا شِبْه من كان الذي

قطعن أيديهن فيه

وشبيه من بقميصه

جاء البشير إلى أبيه

لِمْ لا تَرِقَ لُمذْنفٍ

أسهرت ليلة ممرضيه

■ وقال البحتري في شأن سجن يوسف :

أما في رسول الله يوسف أسوةٌ

لمثلك محبوساً على الضيم والإفكِ

أقام جميل الصبر في السجن برهة

فآض به الصبر الجميل إلى المُلْكِ

▪ وقال أبو عبد الله العلوي في تعزية ابنه المحبوس :

فلا تيأس فيوسف كان قدماً

أتاه الملك في سجن البغايا

وموسى بعد ما في اليم ألقي

حباه الله سلطاناً وآيا

▪ وقال أحد الشعراء :

إن أسجن مذنباً فحظي عقابُ

فهب لي عقوبةً التأديبْ

قل كما قال يوسف لبني

يعقوب لما أتوه لا تثريبْ

▪ قال بعض السلف : إن الله تعالى يحتج بأربعة على أربع :

يحتج بسليمان على الأغنياء .

ويحتج بيوسف على العبيد .

ويحتج بأيوب على المرضى .

ويحتج بعيسى على الفقراء .

▪ لما هم المنصور بهدم دور المدينة وإحراق نخلها عند خروج إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين إن سليمان أُعطي فشكر ، وإن أيوب اُبتلي فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقتد بمن شئت منهم .

فقال : حسبك ، ونقض عزمه .

▪ وقال بعض العرب :

لها حكم لقمان وصورة يوسفٍ
ومنطق داود وعفةُ مريمِ
ولي سُقم أيوب وغربة يونسٍ
وأحزانُ يعقوبٍ ووحشهُ آدمِ

▪ يروى أن يوسف عليه السلام لما ملك خزائن الأرض كان يجوع ، ويأكل خبز الشعير .

فقيل له : أتجوع ، وبيدك خزائن الأرض ؟ .

قال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين .

▪ بينما إمام يُصلي بقوم التراويح في شهر رمضان ، وهو يقرأ سورة يوسف إذ عرضت له في بطنه حاجة ، وقد كان قد بلغ قوله تعالى :(قالت امرأة العزيز) وقدر أنه قد غلط فركع وأفلتت منه ضرطة عظيمة ، فقال واحد من خلفه (الآن حصحص الحق) .

▪ رؤيا يوسف : يُضرب مثلاً للرؤيا الصادقة الصحيحة ، إذ رأى يوسف عليه السلام في المنام وهو ابن اثنتى عشرة سنة أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له سُجدا .

▪ قميص يوسف : أجرى الله تعالى أمر يوسف من البدء إلى النهاية على ثلاثة أقمصة .

▪ حسن يوسف : يُضرب به المثل في شعراء العرب والعجم ، ففي الخبر أن يوسف أعطي نصف الحسن ، فكان النصف له والنصف لسائر الناس .

وما الظن عن النسوة لما ﴿ رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف ٣١) .

▪ سِنّي يوسف : يضرب بها المثل في القحط والشدة ، وكانت سبعاً متواترة ، قال ﷺ : (اللهم اشدد وطأتك على مضر ، وابعث فيهم سنين كسني يوسف) ، فاستجاب الله دعاءه حتى شووا الجلد وأكلوا القِدّ .

▪ ريح يوسف : يضرب مثلاً فيما يُحسّ به من أثر الشيء السار .

▪ عزيز مصر : ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ (يوسف ٣٠) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ﴾ (يوسف ٨٨) ، وكانت هذه تحية ملوكهم وعظمائهم وإلى الآن .

▪ عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أنه قال :

الأنبياء الملوك أربعة :

يوسف ملك مصر .

وداود وسليمان ملكا ما بين الشام إلى إصطخر .

وذو القرنين ملك ما بين المغرب والمشرق .

▪ جاء رجل إلى مزبد ، فقال له : أحب أن تخرج معي وتصل جناحي ، في حاجة لي .

فقال : هذا يوم الأربعاء أستثقله ، ولست أبرح من منزلي .

فقال الرجل : وما تكره من يوم الأربعاء ، وفيه وُلِد يونس بن متى !.

فقال : لا جرم وقد بانت بركته في اتساع موضعه ، وحسن كسوته ، حتى وصل على وَرَق القَرْع ! .

قال : وفيه وُلد يوسف .

قال : ما أحسن ما فعل به إخوته حتى طال حبسه وغربته !! .

قال : وفيه أوحي إلى إبراهيم عليه السلام .

قال : فما كان أبرد الأتون الذي أوقدوه له ، حتى خلصه الله تعالى منه ! .

قال : وفيه نصر الله رسوله ﷺ يوم الأحزاب .

قال : أجل ، بأبي أنت وأمي ، ولكن بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنونا ، هناك اُبتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ! .

▪ قيل لأبي الحارث جميز ، وهو في ثياب منخرقة ، ألا يكسوك محمد بن يحيى بن خالد البرمكي .

فقال : لو كان له بيت مملوء إبراً وجاءه يعقوب ومعه النبيون شفعاء والملائكة ضمناء يطلب منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدّ من دبر ، ما أعاره إياها ، فكيف يكسوني .

▪ عوتب بعض العلماء على خطبته عمل السلطان ، فقال : لقد خطبه وطلبه الصديق ابن إسرائيل (يعقوب) ابن الذبيح (ابن الخليل عليهم السلام) في ملك مصر .

فقال : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف ٥٥) .

الوقفة الثامنة :
الذين تكلموا في المهد - وقصة يوسف

المهد : ما يُمْهد للصبي ويهيأ له من الفراش ليربى فيه وجمعه مهاد .

والكلام في المهد : معجزة للأنبياء .

والكلام في المهد : كرامة لغير الأنبياء .

ورد في الصحيحين : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، "قال إني عبد الله" ، وصاحب جريج"قال أبوي الراعي" ، وابن امرأة من بني إسرائيل "قال اللهم اجعلني مثلها") .

وفي صحيح مسلم : في قصة أصحاب الأخدود ((طفل امرأة تقاعست عن إلقاء نفسها في النار ، فقال لها ابنها "اصبري فإنك على الحق")) .

وفي مسند أحمد والحاكم بسند صحيح : شاهد يوسف ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (يوسف ٢٦ -٢٧) .

• شهد ببراءة يوسف خمسة ، شهد الله تعالى ببراءته عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ، وشهد الشيطان ببراءته بقوله : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا

عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص ٨٢-٨٣) ، وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ﴾ (يوسف ٢٦) ، وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ (يوسف ٥١) ، وشهد ببراءته زوجة العزيز بقولها : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(يوسف ٥١) .

- قال الناظم :

تكلم في المهد النبي محمدُ
ويحيى وعيسى والخليل ومريمُ
ومبري جريح ثم شاهدُ يوسفَ
وطفلٌ لدى الأخدود يرويه مسلمُ

- وقال محمد الصديقي :

تكلم في المهد طه كذا
خليلٌ ويحيى وعيسى ومريمْ
وشاهدُ يوسفَ مبري جريح
وطفلٌ لدى النار لما تُضرَمْ

الوقفة التاسعة :

وقفة نحوية (الجزم)

وقصة يوسف

الجزم : يقع على الفعل المضارع فقط ، من الأفعال ، ولا يقع على الفعل الماضي أو الفعل الطلبي ، كما لا يقع على الأسماء أو الأحرف ، والجزم : من أخوات : النصب ، الرفع ، الجر.

ومن أدواته : جزم الفعل المضارع بأداة ، وجزم الفعل المضارع بأداتين ، وجزم الفعل المضارع دون أداة ، فيجزم الفعل المضارع بدون أداة إذا وقع في جواب الطلب .

١ - قال تعالى : ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ (يوسف ٩) .

٢ - قال تعالى: ﴿ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ (يوسف ١٠) .

٣ - قال تعالى : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ (يوسف ١٢) .

٤ - قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ (يوسف ٥٤) .

٥ - قال تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ ﴾ (يوسف ٦٣) .

٦ - قال تعالى : ﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (يوسف ٩٣) .

الوقفة العاشرة : الحيوان في قصة يوسف

ذئب يوسف ، قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (يوسف ١٣ـ ١٤) ، ويضرب مثلاً لمن يُرمى بذنب جناه غيره ، وهو بريء الساحة منه .

وفي القرآن الكريم من الحيوانات المشهورة والمنسوبة إلى الإنسان :

- بقرة بني إسرائيل .
- عجل السامري .
- ناقة صالح .
- حمار عُزْير .
- كلب أصحاب الكهف .
- حوت يونس .
- ثعبان موسى .
- خفّاش عيسى .
- هُدْهد سليمان .
- كبش إسماعيل .
- عجل إبراهيم .

خاتمة

أسئلة :

▪ إن قيل : كيف قال : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ (يوسف ٤) ، ولم يقل ثلاثة عشر كوكباً ، وهو أوجز وأخصر ؟ .

نقول : قصد عطفهما على الكواكب تخصيصاً لهما بالذكر ، وتفضيلاً لهما على سائر الكواكب لما لها من المزية والرتبة على الكل.

ونظيره : تأخير جبريل وميكال عن الملائكة عليهم الصلاة والسلام ثم عطفهما عليهم .

كما في قوله تعالى :﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ (البقرة ٩٨) .

وكذا قوله تعالى :﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة ٢٣٨) .

■ إن قيل : كيف أجريت مجرى العقلاء في قوله ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾ وقوله ﴿ سَٰجِدِينَ ﴾ وأصله رأيتها ساجدة ؟ .

نقول : لما وصفها بما هو من صفات من يعقل وهو السجود ، أجرى عليها حكمه ، كأنها عاقلة .

وهذا شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطي حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة .
ونظيره قوله تعالى :﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ ﴾(النمل ١٨) .

وكذا قوله تعالى في وصف السماء والأرض :﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(فصلت ١١) .

■ إن قيل : كيف وحَّد الباب في قوله تعالى :﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ ﴾ (يوسف ٢٥) ، بعد جمعه في قوله تعالى :﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ (يوسف ٢٣) ؟ .

نقول : لأن إغلاق الباب للاحتياط لا يتم إلا بإغلاق جميع أبواب الدار ، سواء كانت كلها في جدار الدار أو لا ، وأما هربه منها إلى الباب فلا يكون إلا إلى باب واحد إن كانت كلها في جدار

الدار ، لأن خروجه في وقت هربه لا يتصور إلا من بابٍ واحد منها ، ولذلك وحَّد الباب .

■ إن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ (يوسف ٢٦) ، ولم يكن قوله شهادة ؟ .

نقول : لما أدى معنى الشهادة في ثبوت قول يوسف عليه السلام وبطلان قولها سُمي شهادة ، فالمراد بقوله ﴿ وَشَهِدَ ﴾ أعلم وبيّن وحكم .

■ إن قيل : كيف شبهن يوسف عليه السلام بالملك ، فقلن ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف ٣١) وهن ما رأين الملائكة قط ؟ .

نقول : أولاً : إن كن ما رأين الملائكة فقد سمعن وصفها .

ثانياً : أن الله تعالى ركز في الطباع حسن الملائكة ، كما ركز فيها قبح الشياطين .

ولذلك يُشبّه كل متناهٍ في الحُسْن بالملك ، وكل متناهٍ في القبح بالشيطان .

■ إن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ (يوسف ٨٤) ، والحزن لا يحدث بياض العين لا طباً ولا عرفاً؟ .

نقول : ما قاله ابن عباس ﷺ (من الحزن) أي البكاء .

ولأن الحزن سبب البكاء ، فأطلق عليه اسم السبب وأراد به المسبب ، وكثرة البكاء قد يحدث بياضاً في العين يغشى السواد ، وهكذا حدث ليعقوب عليه السلام .

وقيل : إذا كثرت الدموع محقت سواد العين وقلبته إلى بياض كدر .

■ إن قيل : كيف يجتمع الإيمان والشرك ، وهما ضدان حتى قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف ١٠٦) .

نقول : معناه :

١ - وما يؤمن أكثرهم بأن الله خالقه ورازقه وخالق السماوات والأرض قولاً ، إلا وهو مشرك بعبادة الأصنام فعلاً .

٢ - أن المراد بها المنافقون ، يؤمنون بألسنتهم قولاً ، ويشركون بقلوبهم اعتقاداً .

٣ - أن المراد بها تلبية العرب : كانوا يقولون :

لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك .

فكانوا يؤمنون بأول تلبيتهم بنفي الشريك ، ويشركون بآخرها بإثباته .

■ إن قيل : كيف اعتذر إليهم يعقوب عليه السلام بعذرين ، أحدهما قوله : ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ ﴾ (يوسف ١٣) ، لأنه كان لا يصبر عنه ساعة واحدة .

والثاني : خوفه عليه من الذئب : ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ (يوسف ١٣) ، فاجابوا عن أحد العذرين دون الآخر ؟ .

نقول : حبه إياه وإيثاره له وعدم صبره على مفارقته ، هو الذي كان يغيظهم ويؤلمهم ، فأضربوا عنه صفحاً ولم يجيبوا عنه .

■ إن قيل :كيف قال إخوة يوسف في حق يوسف : ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ (يوسف ٩) ، وهم أنبياء ؟ .

نقول : لم يكن إخوة يوسف أنبياء على الصحيح .

وبتقدير أنهم كانوا أنبياء ، إنما قالوا ذلك قبل نبوتهم .

وقيل : بأن ذلك من الصغائر .

■ إن قيل : كيف قال يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف ٥٥) ، مع أن الأنبياء عليه السلام أعظم الناس زهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة ؟ .

نقول : إنما طلب ذلك ليتوصل به إلى إفضاء أحكام الله تعالى ، وإقامة الحق وبسط العدل ونحوه ، ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك .

ونظيره : قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ (الأعراف ١٨٨) .

يعني لو كنت أعلم أي وقت يكون القحط لادخرت لزمن القحط طعاماً كثيراً .

■ إن قيل : كيف جاز لهم أن يسجدوا ليوسف ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ (يوسف ١٠٠) ، والسجود لغير الله حرام ؟ .

نقول : إن المراد أنهم جعلوه كالقبلة ، ثم سجدوا لله تعالى شكراً لنعمة وجدان يوسف .

كما نقول : سجدت وصليت للقبلة ، أو اللام للتعليل أي : لأجله سجدوا لله .

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾ أي الكواكب ﴿ لِي سَـٰجِدِينَ ﴾ ، أي إنما سجدت لله لأجل مصلحتي والسعي في إعلاء منصبي ، وقيل كان السجود للملك أو العزيز تحية ، فكانت تحيتهم السجود ، كما أن تحية الإسلام : السلام .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم وعلومه .

٢) تفسير الطبري .

٣) تفسير القرطبي .

٤) تفسير ابن كثير .

٥) تفسير الشوكاني .

٦) تفسير الماوردي .

٧) تفسير ابن الجوزي .

٨) تفسير ابن تيمية .

٩) تفسير ابن قيم الجوزية .

١٠) تفسير الشنقيطي .

١١) تفسير سيد قطب .

١٢) تفسير السعدي .

١٣) تفسير الصابوني .

١٤) قصص الأنبياء ـ للثعلبي .

١٥) قصص الأنبياء ـ لابن كثير .

١٦) بصائر ذوي التمييز ـ للفيروز آبادي .

١٧) ثمار القلوب ـ للثعالبي .

١٨) فوائد مستنبطة من قصة يوسف ـ للشيخ عبد الرحمن السعدي .

١٩) في الأربعين حكمة ـ لزيد الرماني .

٢٠) الاقتباس من القرآن الكريم ـ للثعالبي .

٢١) مجالس ووقفات مع كتاب الله عز وجل ـ لزيد الرماني .

٢٢) سورة يوسف نظرات وعبرات ـ لتوفيق شاهين .

٢٣) دروس وفوائد من القرآن وعلومه ـ لزيد الرماني .

٢٤) التخطيط الاقتصادي عند يوسف عليه السلام ـ لنواف الحليسي .

٢٥) دروس مهمة في حياة الأمة ـ لزيد الرماني .

الفهرس العام

مقدمة.. ٥
مقدمات أساسية... ٧
مبهمات في قصة يوسف.. ٢١
فوائد مستنبطة... ٢٧
الأربعون في قصة يوسف....................................... ٥١
ثلاثيات قرآنية من قصة يوسف................................. ٥٥
لطائف وطرائف من قصة يوسف.................................. ٦١
الذين تكلموا في المهد.. ٨٥
وقفة نحوية (الجزم)... ٨٩
الحيوان في قصة يوسف... ٩٣
خاتمة.. ٩٦
ثبت بأهم المصادر والمراجع.................................... ١٠٣
الفهرس العام... ١٠٥
للقارىء رأيه.. ١٠٧

للقارىء رأيه

لقد ذكر الجاحظ : "إنه من السهل حتى للمصنِّف أن يسود عشر صفحات بالنثر الرفيع المليء بالأفكار الجيدة من أن يكتشف في مصنفه أغلاطاً ارتكبها أو أمور أخرى سهت عن باله" ،الجاحظ : الحيوان : جـ١/٣٨ .

ولله در الإمام ابن قيم الجوزية حيث قال : "فلك أيها القارىء صفوه ولمؤلفه كدره وهو الذي تجشم غراسه وتعبه ، ولك ثمره ، وها هو قد استهدف لسهام الراشقين ، واستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ، ثم إلى عباده المؤمنين" ، ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة : ص٥١ .

لهذا يأمل الباحث تزويده بالملحوظات والآراء ، ليستفيد منها في بحوثه المستقبلية .

د. زيد بن محمد الرماني
ص.ب : ٣٣٦٦٢ - الرياض ١١٤٥٨
المملكة العربية السعودية

وكلاء التوزيع

في كافة أنحاء المملكة

دار طويق و مؤسسة الجريسي

هاتف الجريسي ٤٠٢٢٥٦٤ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

في قطـــــــر

مكتبة ابن القيم – ت/ ٤٨٦٣٥٣٣ / ٤٨٧٣٥٣٣

في اليمــــــن

دار القدس – ت/ ٢٠٦٤٦٧

في البحريـــــن

مؤسسة الأيام للصحافة – ت/ ٧٢٥١١١ (المنامة)

في لبنـــــــان

مؤسسة الريان – ت/ ٠١/٧٠٥٩٢٠ – ف/ ٠١/٦٥٥٣٨٣ –

جـ/ ٠٠٩٦١٣٢٠٧٤٨٨ البريد الإلكتروني ALRaYAN@cyberia.net.lb

في مصـــــــر

مكتب دار طويق – القاهرة ت/ ٤٥٩٤٦٧٩ محمول/ ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦

في الســــــودان

مكتب دار طويق – الخرطوم – السوق العربي ت/ ٧٩٠١٣٤

في الكويت لدى المكتبات التالية

الإمام الذهبي ت/ ٢٦٥٧٨٠٦ دار طيبة ت/ ٩٦٣٥٥٣٢

شركة المجموعة الكويتية ت/ ٢٤٠٥٣٢١ المنار الإسلامية ت/ ٢٦١٥٠٤٥

في الإمارات لدى المكتبات التالية

دبي للتوزيع – ت/ ٢١١٩٤٩ المروج للإنتاج الفني – ت/ ٣٣٣٩٩٩٨

مركز مكة للكتاب والشريط الإسلامي – الشارقة – ت/ ٥٠٦٣٢٢٨٨٢